رؤية للتراث السوسيولوجي للضغوط الأسرية

أ. عيساوة وهيبة
جامعة الأغواط

الملخص:

إن موضوع الضغوط الأسرية له من الأهمية في معالجة القوى التي تعيق الأسرة في أداء أدوارها وتكيفها مع الظروف الجديدة، باعتبار الأسرة إحدى المؤسسات الاجتماعية الأولى التي سايرت تطور المجتمعات الإنسانية والتي تعكس ظروف المجتمع وطابع الحياة الاجتماعية ،ومن هنا جاء هذا المقال ليقدم رؤية حول هذا الموضوع، بالتعرف على الاهتمامات السوسيولوجية المبكرة التي تناولت الضغوط الأسرية ،تحديد هذا المفهوم ، طبيعة هذه الضغوط والعوامل المحددة لها، وأنواع هذه الضغوط.

Résumé :

le sujet de pressions dans la famille a une importance considérable dans l'étude des forces qui entravent la famille de jouer pleinement ses rôles et son adaptation envers les nouvelles conditions, puisque elle représente l'une des premières institutions sociales qui poursuivirent l'évolution des sociétés humaines, et qui reflète les conditions de la société et le mode de la vie sociale.

De cela, cet article présente une vision vis-à- vis du sujet, en connaissance des préoccupations sociologiques préliminaires ayant trait à ce sujet tout en précisant le concept des pressions dans la famille, la nature des pressions et les éléments qui la déterminent, et types de pressions.

تمهيد :

احتل الاهتمام بموضوع الضغوط اهتماما كبيرا في مجال علم النفس وعلم اجتماع العمل ،باعتبار الفرد محاطا بمتغيرات حياتية متنوعة تؤثر على سلوكه وتفاعله مع البيئة المحيطة به، بالتركيز على مصادرها وآثارها ونتائجها السلبية على الجانب الصحي البدني والنفسي والأداء الوظيفي خاصة أنه أصبحت الضغوط سمة من سمات العصر الحديث .إلا أن الضغوط الأسرية لم تحظى بالاهتمام المناسب في الأبحاث السوسيولوجية حيث ظلت في مرتبة ومكانة هامشية ،ومن هنا نحاول تناول هذا الموضوع من زاوية الاهتمامات السوسيولوجية المبكرة والتي بقيت بعيدة عن البحث والتطبيق فيها.

1- الاهتمامات السوسيولوجية المبكرة للضغوط الأسرية :

تحدث علماء الاجتماع منذ " أوغست كونت" و حتى الآن أنهم يجمعون المعلومات عن المجتمع لهدف التحسين الاجتماعي، و قد كان الهدف المحدد لعالم الاجتماع هو العمل على تعزيز الرفاهية الاجتماعية بالمعنى العام منها رفاهية الأسرة، وكان الدافع الحقيقي جراء البحث في علم اجتماع الأسرة ليس الرغبة في جمع المعلومات، بل وبعض المشاكل الاجتماعية الطارئة كظهور العديد من المشكلات الطارئة خلال الكساد الاقتصادي في الثلاثينات، أو التذمر الذي سببه ازدحام حجم العنف في الأسرة خلال فترة الستينات و السبعينات، و يترتب على ذلك أنه لكي يؤدي على الاجتماع وظائفه على أكل وجه يجب أن يساهم في فهم العمليات التي تولد مشاكل الأسرة و تسبب التوتر والضغط، الأزمات، اختلال النظام و التمزق في حياة.

كانت الدراسات حول الأسرة في حالة الأزمة أحد الاهتمامات الأولية عند علماء الاجتماع، نذكر منها كالآتي (1):

- دراسة " انجل روبرت" 1936 حول " الأسرة تواجه الأزمة "
- دراسة " كافان روث ورانك .ك.ه" 1938 حول " الأسرة و الأزمة"
- دراسة "كومارو فسكي" 1940 حول " الرجل غير المستخدم لعائلته"
- دراسة "كوس ابرل " 1946 حول " عائلات تعاني من الضيق"

و تعدد هذه الدراسات كلاسيكية نشأت عن الكساد الاقتصادي الذي حدث في الثلاثينات وعن الحرب العالمية الأولى و الثانية. و من هذه الكتابات المبكرة، تطورت في الخمسينيات محاولة لطريقة فهم نظرية منهجية لدراسة الأسرة و الأزمة والضغط التي تمر بهما و تتمثل هذه الدراسات في:

- دراسة " روبن هيل" 1958 حول " معالم شاملة لعائلات تعاني من الأزمة ".
- دراسة العالم الأنثربولوجي " أوسكار لويس " 1959 حول " خمس عائلات " و " أبناء سانشر " 1961، و " الحياة " 1965 و التي تتناول الأسرة المكسيكية.إلى جانب كتابات " رينو وترلي " حول "زوجة الرجل العام" 1959، و " الفقراء يتناسلون " 1960، " مخطط الأسرة: الجنسية الزواجية، حجم الأسرة و موانع الحمل" 1965.
- دراسات " هانس دونالد وروبل هيل " حول " العائلة و هي تعاني الأزمة" 1962، و " تحديات و وسائل لتطوير العائلة" 1965.

_ دراسة " هانس دونالد" حول " التأثير الشخصي و الوضعي في الجماعات العرقية: اقتراحات للبحث في قابلية العائلة الأزمة" 1965.

و كانت هذه الكتابات تركز على محاولة فهم استجابة الأسرة للضغوط أو الأزمة، وهي معالجة للأسرة في شروط ميزتها التنظيمية قبل مواجهة الأسرة لحادث ضاغط، ثم متابعة الأسرة لتفسير وتعليل كل من المصادر الداخلية و الخارجية التي اعتمدت عليها الأسرة، ثم إلى مرحلة إعادة التنظيم والانحلال

و هي خلال و بعد مرحلة مواجهة الحادث الضاغط . فهذا التفسير لرد فعل الأسرة على الأحداث الضاغطة يرجع إلى النظرية التطويرية التي تعتمد على السيرة الماضية للأسرة وتوقعاتها لخطتها المستقبلية، بالإضافة إلى خصائص بنيتها في الفترة التي تواجه فيها الحادث الضاغط.

و قد بين " هيل و هلنس" في كتاباتهما المتنوعة بأن وجود دوافع مادية و تنظيمية والخبرات الاجتماعية والخبرات السابقة التي تكون في متناول الأسرة حيث تعاملها مع الأحداث الضاغطة، إذ تظهر هذه الكتابات أن الأسرة ذات الدخل المنخفض التي اعتادت على العيش على " هامش الضغط و الأزمة" وفق قاعدة يومية، يمكن أن تجد الظرف و الوضع عند تعرضها للحادث الضاغط على أنه أقل كارثة، و يمكن أن تتهيأ أكثر على نحو تنظيمي لتعالج الأزمة أو تواجه الضغط على الرغم من مواردها المادية التي تتصرف بها تكون أقل(2).

كما لخص " كافان روث " "البطالة: أزمة الإنسان العادي" 1950، بعض نتائج بحث تلك الكتابات التي تتعلق بأثر البطالة على الأنماط المتنوعة للأسرة إذ تلاحظ بأن كلا من الطبقة الاقتصادية الاجتماعية الدنيا، المتميزة ببطالة متكررة منتظمة، و الطبقة الوسطى للعليا المتميزة بعمالة ثابتة نسبيا حتى خلال فترة الأزمة الاقتصادية تملك دوافع لتستمر بالبقاء أثناء الأزمة و كانت أقل تأثراً مما كانت عليه الطبقات الدنيا المتوسطة، و الدنيا – العليا التي كانت لديها خبرة قليلة بالبطالة و أيضا خبرة أقل في الدوافع الطارئة عندما حدثت البطالة (3). و عليه فهذه الدراسة تشير و تؤكد على الأثر المتمايز للأسرة، و الذي يرتبط بالخبرة السابقة للأسرة و كذالك بدوافعها المادية و التنظيمية، فالخبرة السابقة تلعب دورا مهمة في تفسير الأحداث التي تصيب الفرد أو الأسرة تفسيرا ايجابيا أو سلبيا، فالاستجابة للرفض في المهنة، و الفشل في العلاقات الأسرية و العاطفية و الاجتماعية و القدرة على التعامل مع الواقع اليومي بشكل أفضل يتوقف على الخبرات الشخصية السابقة، فكلما زاد تعرض الفرد أو الأسرة كلما كانوا أكثر قدرة على التعامل مع مثيلاتها مستقبلا.

كما قدم " أوجبرن. ف، و نيكوف.م" بحث بعنوان " التقنية و العائلة المبتلة " 1955، يقوم على تحليل تأثير التكنولوجيا على الأسرة يبينان الباحثان الأثر الواضح لفقدان الاستخدام في الوظائف غير الماهرة التي يمكن أن تنشأ عن الابتكارات التقنية المتعددة في الإنتاج و توزيع السلع، فالتغيير التقني يملك أثر على العمل في كل المستويات بوجود اختلالات. فالحاجة لأشخاص في وظائف تتطلب المهارات جديدة ملازمة لاختصاصات جديدة يمكن أن تمثل ضغوط و أزمات للأسرة حين يصبح الفرد الذكر في الأسرة محاولا لأن بعيد توجيه ذاته في دوره الانتقالي الهام (4).

كما طور كل من " رونتسلك فلورانس" ، " كونتربرنارد" في " الاغتراب و الأزمة العائلية " 1967 نموذجا تحليليا يحدد عددا من الطرق التي يمكن إتباعها في السيرة العائلية لحل الضغط الناشئ عن المصادر السيكولوجية – الفردية، و هذا من خلال تحليل مضمون الاغتراب في علاقته بالأزمة لدى

الأسرة. و يمثل نموذجها امتدادا لنموذج " هانس و هيل "، و هي الإقترابات التي تنطلق من التفكك الذي يلي الأزمة و تؤدي إلى الانحلال أو إعادة التنظيم.

إلا أن اقتراب " روزنتسلوك و كونتر" يؤول إلى اغتراب الفاعل، و بصورة اختيارية قد يعود إلى التكيف أو الابتكار أو التمرد، و كل اختيار يمثل استجابة مختلفة تشير إلى إعادة تعريف التوقعات من قبل الفاعل الرئيسي و توقعات الفاعلين الآخرين في الأسرة بالنسبة إلى أهداف و وسائل انجاز هذه الأهداف داخل تلك المنظومة (5). إن هذا النموذج يركز على السيرة الفردية و في نفس الوقت على الظروف التي تشكل كل ضغوط لدى الفرد تنشأ عن المجتمع.

إن الدراسات التي اهتمت بالتفكك الأسري تبين أن الضغوط تعتبر عاملا أساسيا باعتبارها مصدر من مصادر التفكك الأسري، إذ يركز في دراسة التفكك الأسري على المصائب أو المهن أو الأحداث الضاغطة التي تحدث في الأسرة مثل الانتحار، الطلاق، الهجرة، الهروب، الوفاة و الإصابة بالأمراض العقلية أو النفسية.

كما يركز على الأسرة التي تعرضت لأزمات معينة أو صراعات متكررة بما يسمى بالأسرة المشكلة " و المتعددة المشاكل " على عامل واحد المسبب للتفكك الأسري مثل العوامل الاقتصادية و خاصة الفقر و البطالة و العوامل النفسية، إلى جانب اتجاه آخر يرتكز على دراسة العوامل الاجتماعية التي تسبب التفكك الأسري و الأزمات الأسرية، حيث اهتم علماء الاجتماع في بداية القرن العشرين بدراسة التقارير التي تركز على جوانب نفسية اجتماعية في الأسرة.

و قد حاول بعض علماء الاجتماع صياغة تصنيفات تصورية للمشاكل والضغوط والأزمات التي تتعرض لها الأسرة، ومن بين هؤلاء نذكر" بيرجس " ولوك"، ، "ليمجود"، ، "روبين هيل"، ، "بول جلاسر"، و "لويس جلاسر".

حاول كل من " بيرجس ولوك" 1948 تصنيف مصادر الأزمات الأسرية مؤكدين أن بعضها يصدر عن الأسرة ذاتها مثل: بطالة الأسرة أو إدمان المخدرات و تعاطي المسكرات أو انحراف أحد أفراد الأسرة بشكل يهدد كيان الأسرة، و البعض الآخر يعبر عن المجتمع و ما يتعرض له من أزمات مثل الكساد الاقتصادي، الحروب و الكوارث الطبيعية (6). و يضيف "بيرجس" عاملين آخرين قد يحدثان في مواقف التحول الاجتماعي عن السريع و يؤديا إلى التوتر بين الزوجين و هما : الأول يتمثل في التأزم الناجم عن التغير المفاجئ في المكانة الاجتماعية ة الاقتصادية للأسرة و الثاني يتمثل في التأزم الناتج عن الصراع بين أفراد الأسرة من حيث إدراكهم لأدوارهم و مطالبة بعضهم بتغيير هذه الأدوار أما " هيل " فصنف أزمات الأسرة إلى ثلاث فئات: فقدان أعضاء من الأسرة، التكاثر أو إضافة فرد، والإنهيارالخلقي.و قد تضمن تصنيف " وليم جود " 1961 خمس أشكال أساسية للتفكك الأسري (7). حيث أن الأحداث الخارجية مثل حالات التغيب الدائم غير الإداري لأحد القرينين بسبب الوفاة أو السجن أو الكوارث الطبيعية كالفيضانات و الحروب، أما الأحداث الداخلية التي تؤدي إلى إخفاق متعمد في أداء

الأدوار كما هو الحال بالنسبة للأمراض العقلية أو الفسيولوجية (8). كما قدم " تشارلز بوث " وصفا عن الآثار الضارة للمسنين و سوء الأحوال الصحية (9).

كما استخدمت مصطلحات عديدة في دراسة الضغوط و الأزمات الأسرية منها: مستوى التكيف (هيل 1949) و مستوى إعادة تنظيم الأسرة (هانس و هيل)1964، و نمط للتكيف (كارفن و بلاك 1983) و توصل هؤلاء الدارسين للمشكلات و الأزمات و الضغوط الأسرية إلى بعض التعميمات التي تتضمن أن الأسرة نظام اجتماعي عرضة للتأثر بالضغوط و الأزمات المجتمعية وأنها نظام نصف مغلق يتكون من أوضاع وأدوار يحددها المجتمع، وبذلك فالضغوط والأزمات تنبع من المجتمع ومن الأسرة في وقت واحد(10).

2. تعريف الضغوط الأسرية :

إن مفهوم الضغوط الأسرية يرتبط بتعرض الأسرة لحادث يؤثر على حياتها و يجعلها في حالة عدم توازن، وذالك بما يفرضه عليها من ممارسات مفاجئة و غير مفاجئة، نحتاج إلى إعادة تنظيم شامل لحياتها ، و تستمر حالة عدم التوازن إذا لم تتحرك بطرق فعالة لمواجهة هذه الضغوط التي تتعرض لها الأسرة و التي تكون إما من داخلها أي الأحداث الداخلية، أو من خارجها أي الأحداث الخارجية.

كما تحدث الضغوط « عندما تدرك الأسرة أن المصادر الداخلية و الخارجية لديها تكون غير كافية للتوافق أو التعامل مع المطالب البيئية» (11). و يحدد " فوزي محمد الهادي " مفهوم الضغوط الأسرية في كونها القوى و المؤثرات المرتبطة بالتغيرات المصاحبة لأحداث الحياة، تؤدي لتوترات وإضطربات يتطلب معها أهمية السعي لتحقيق التوازن اللازم لقيام الأسرة بأدائها الاجتماعي، وتتمثل هذه الضغوط في أشكال وتقسيمات الضغوط الاجتماعية النفسية، الضغوط المهنية أو ضغوط العمل ضغوط اقتصادية، إيديولوجية و تعليمية و ضغوط صحية (12)

إن مفهوم الضغوط التي تتعرض لها الأسرة يتضح ضمن المفاهيم السابقة فيما يلي:

– الأحداث الحياتية والتغيرات التي تحدث في ضوء ظروف الأسرة فيتطلب ذالك إحداث تغيرات في النسق الأسرى مثل وفاة أحد الزوجين، أو تعرض الأسرة لأزمات مالية، بطالة أحد أعضائها.

– الكوارث و هي تكون غالبا ناتجة عن ضغوط البيئية الخارجية و تتطلب تغيرات و إعداد شامل.

– المطالب التي يتطلبها التغيير في نسق الأسرة و التي تشمل الحاجات المعيشية لأفراد الأسرة، والمهام المطلوبة للمحافظات على كيانها وكذالك المتطلبات المرتبطة بالمرض، الظروف الاجتماعية المتغيرة و متطلباتها.

– الضغوط الداخلية و التي تتمثل في التوترات للعلاقات داخل الأسرة بين أفرادها (13).

و هناك من يطلق على الضغوط الأسرية بمفهوم الأزمة، و ذلك انطلاقا من أنها لم تعالج هذه الضغوط في وقت قصير تصبح أزمة يطول علاجها خاصة إذ كانت الأسرة غير مهيأة مثال انهيار

العلاقات بين الأفراد يحتاج إلى وقت طويل لتغيير الأهداف والسعي الجاد لكشف العلاقة بين الدعم و الإمكانيات الفردية و تخطي المشكلة (14).

و من أنواع الأزمات التي يمكن أن تظهر في الأسرة تتمثل في :

1- عندما تتحول الأسرة التي مثلث بمعنى أن يدخل أحد طرفي الزواج في علاقات مع شخص آخر، و في حالة معرفة الشريك الآخر.

2- تخلي أحد الطرفين عن آماله في الآخر و التي كانت موجودة من قبل.

3- وصمة العار التي تلحق بأحد الزوجين، و التي تجلب الاحتقار الاجتماعي لهذا الطرف أو ذاك و للأسرة ككل مثل إدمان الخمور، ارتكاب الجريمة.

4- الأزمات الاقتصادية المقوضة للأسس الاقتصادية للأسرة.

5- كارثة أو فاجعة مثل الحرائق أو في حالة انتشار وباء مرضي.

6- الحروب أو الانفصال لفترات زمنية طويلة و آثار ذلك على الانحلال الأخلاقي وآثار ذلك على الأزمات العائلية (15)، و قد صنف " هيل " أزمات الأسرة إلى ثلاث فئات هي:

- التمزق أو فقدان أعضاء: و يعني به فقدان أحد أعضاء الأسرة نتيجة ذهاب إلى الحرب، أو دخول أحد الزوجين المستشفى، أو موت احد الوالدين.

- التكاثر أو الإضافة: ضم عضو جديد للأسرة دون استعداد مسبق و مثال عن ذلك حمل غير مرغوب فيه، أو زوج أم، أو تبني طفل، أو حضور أحد الأجداد المسنين للإقامة مع الأسرة.

- الانهيار الخلقي: يشير إلى فقدان الوحدة الأسرية و الأخلاقية مثل فقدان العائل، أو خيانة الزوجية، إدمان الخمر أو المخدرات أو الانحراف، و كل الأحداث التي تجلب العار و الخزي (16).

3 طبيعة الضغوط الأسرية :

أ- **العوامل المحددة لطبيعة الضغوط:** هناك عدة عوامل تلعب دورًا هاما في تحديد طبيعة الضغوط و نتائجها على الأسرة، و تتمثل في :

* **الشخصية:** إن الشخصية بمعناها الواسع تشير إلى أنماط الفرد المختلفة سواء ما يتعلق منها بالفهم و السلوك أو المشاعر، كما يشمل المصطلح الإدراك و المزاج و تحمل القلق و أنماط الدفاع (17).

فنضج سلوك الزوجين له أهمية في الحفاظ على الرفاهية العاطفية للأسرة، فالعلاقات الحميمة بين أفراد الأسرة قد تحول دون تطور الضغط حتى لو كانت المصادر المادية غير كافية، و قد تؤدي المحنة إلى تدعيم بناء الأسرة على المدى البعيد في وجود علاقات داخلية مستقرة و مترابطة و متكيفة، بالرغم من أن آثارها المؤقتة قد تبدو ضارة (18). فالأسرة التي تتكون من شخصيات عصبية و قلقة و غير قادرة على أداء أدوارها بمهارة، ترى الصعوبات على أنها ضخمة حتى عندما يمتلكون المصادر الكافية للتغيير بسبب الثقل الذي يضعونه على الموقف من شخصيتهم (19). فالصدامات المزاجية بين الزوجين

تعتبر عاملا محددا للضغوط إذ لم يتناولهما بطريقة إيجابية، فكلما كان الجو النفسي بين الزوجين أو بين أعضاء الأسرة الآخرين متوترا و مشحونا بالخلافات و الخصومات و الشجار، فإن ذلك ينعكس آثاره بصورة سلبية عليهم و بالتالي فالتوتر و الصراع يقلل من درجة الترابط و التماسك، و بقدر ما يكون الجو النفسي سويا بقدر ما يكون ذلك عاملا مساهما في التكيف و مواجهة الضغوط. « كما يزيد الضغط عندما تصبح العلاقات الاجتماعية في الأسرة مفككة و مضطربة حيث أن الاختلافات الفردية في أساليب الاتصال و التفاعل تؤثر على طريقة توافق الناس أو فشلهم في التوافق مع الأحداث الضاغطة» (20).

كذلك من الثابت أن الاستجابة باليأس و الانفعال الأحداث الحياة أو عدم الاستجابة بذلك، يتوقف على مدى ما يتسلح به الفرد من مهارات نفسية و اجتماعية و من ثم فتأثير الضغوط على الأفراد ذوي الاهتمامات المهنية و الاجتماعية الضيقة يكون أكثر عمقًا و أسوأ أثرا، و إذ يجد نفسية في مثل هذه الحالة عاجزًا عن الدخول في نشاطات أو علاقات اجتماعية.

كما يتوقف تأثير الضغوط على مدى تقدير الفرد لها وعلى مدى إدراكه لخطورتها له، ثم أن الحدث الواحد قد لا يثير الاضطراب نفسه عند شخصين مختلفين حتى و لو كانت الأسباب واحدة.

***الوسط الاجتماعي:** إن الوسط الاجتماعي الذي يقع فيه الضغط من شأنه أن يقلل أو يزيد من حدته، حيث يكون هذا الوسط مسانداً فإنه من شأن السند الاجتماعي الذي توفره له الأسرة أن يعاونه على تحمل ضغط الكارثة التي وقعت له، عكس الشأن فيما لو حرم لهذا السند، فإن الضغط الموقف قد يتعدى قدرات الشخص على تحمله » (21). و وفقا للعديد من الدراسات تؤكد أن جانبا من الإحباط و خيبة الأمل في العمل يمكن تحمله إذ كان الموقف في البيت آمنا و مساندا، فالمساندة هي خطوة أساسية في التعامل مع الضغوط كتقدير دقيق و موضوعي لمصادر الضغوط، يساعد على تغيير الاتجاهات و الإدراكات.

و لقد تبين أن أسوأ الضغوط و أكثرها ارتباطا بالتوتر هي التي تحدث للفرد المنعزل، و الذي يفتقد المساندة الوجدانية و الدعم الاجتماعي و المؤازرة، و بعبارة أخرى، الحياة مع الجماعة والانتماء لمجموعة من الأصدقاء و العلاقات الاجتماعية و الأسرية المنظمة تعتبر من المصادر الرئيسية التي تجعل للحياة معنى، و توجهنا للصحة و الكفاح و الرضي، و تدعمنا في نفس الوقت للمقاومة و تحمل الأعباء و الضغوط، فمثلا: الأسرة التي تفقد أحد أفرادها، تكون أكثر قدرة على التحمل و المقاومة، إذا التف حولها الأقارب و الأصدقاء و إعطائها الرعاية، و المريض أيضا يكون أكثر تفاؤلا و رغبة في الشفاء عندما يجد من حوله الأهل و الأقارب، بما يمنحوه من دعم و تشجيع.

فالعلاقات الأولية في المحيط الأسرى لها دور كبير في تحقيق التوازن الاجتماعي في ظل الضغوط التي تعيشها الأسرة، بما توفره هذه العلاقات من فرص للتضامن و تقوية الانتماء و التقليل من ظواهر لما يشير هذا المفهوم بأنه « توصف الجماعة بأنها أولية إذ قامت على المودة و الألفة بين الأفراد، و تمثل قيما مشتركة و مستويات أساسية للسلوك، و تميزت بالاتصال الواضح الشخصي

و المباشرين الأفراد، كما تتداخل مظاهر شخصية كل فرد فيها في علاقاته بغيرة من أعضاء الجماعة» (22).

و الضغوط ليست بالضرورة سلبية، فقد نحتاج الضغط لتحقيق التحدي فالتعرض للضغوط يؤدي إلى ظهور الحاجة إلى أساليب جديدة، ذلك « أنه من الممكن من خلال المواقف الضاغطة أن تنبثق حلولا خلاقة من أجل تنظيم أوجه النشاط بصورة أكثر تميزًا أو أفضل من تلك التي كانت قائمة قبل حدوث الضغوط» (23).

فقد يترتب على الضغوط آثار ايجابية كما يترتب عليها آثار سلبية،« فأما الآثار الإيجابية تتجلى عندما يتولد لدى الفرد و الأسرة حافز قوي للمقاومة و رفع التحدي من أجل الاستمرار و تغيير الوضع و تحويله لصالحه و تصحيح اللاتوازن مع البيئة» (24)، ويتطلب ذلك «توفر عدة شروط أهمها توفر البيئة على الإمكانيات اللازمة المتاحة و المشجعة، أي توفر النظام العام المشجع و المحرر للطاقات الفردية و الجماعية »(25).

وعليه، فتوافق الأفراد والأسرة لما يواجهونه من ضغوط لا يمكن فهمه بعيدًا عن وسطهم الاجتماعي و الأسري، و يسهم المجتمع بما ينطوي عليه من مضامين مجتمعية أو الأنساق الاجتماعية أو البناءات الاجتماعية في خلق الضغوط و تفاقمها، كما أنها تقدم في نفس الوقت الإرشادات أو المعونات التي تؤدي إلى خفض حدة الضغوط.

ب- العلاقة الجدلية بين مصادر الضغوط: توجد تأثيرات تبادلية بين كل من مصادر الضغوط التي تتعرض لها الأسرة و نتائجها أو آثارها من خلال العوامل المرتبطة بها، فقد تكون النتائج هي العامل المؤثر في ظهور أنواع الضغوط لدى الفرد والأسرة و تتشكل كمصادر لهذه الضغوط،ويكون من الصعب الفصل بين نتائج هذه الضغوط وآثارها على الأسرة، خاصة أن العوامل المرتبطة و المؤثرة متنوعة.

و تتضح هذه العلاقة الجدلية أو الدياليكتية في أن الضغوط التي تتعرض لها الأسرة مثل الفقدان أو الانفصال و هي أشد أنواع الضغوط و أكثر قسوة في حياة الفرد، كالطلاق أو وفاة أحد الزوجين، تؤدي إلى نتائج كالإصابة بالأمراض في المستقبل، من خلال معرفة كمية الضغوط التي تتعرض لها الأسرة أو الفرد في الحاضر، فقد تظهر استجابة الأسرة نتيجة لهذه الضغوط و ينتج عن هذه الاستجابة آثارا، هذه الآثار هي يدورها تصبح بمثابة عوامل مؤثرة في تلك الضغوط (26).

فالفقر و غيره من العوامل مثل الطبقة الاجتماعية، الجنس، العمر، نظم العمل و البطالة أو العمل المتدني المشتركة التي تؤثر على الأفراد و على الأسرة، حيث ينتج عن الفقر ضغوطا كثيرة التي تسبب القلق حول تأمين ضروريات الحياة و تلبية الاحتياجات، و يمكن أن تؤدي هذه الضغوط بدورها إلى أمراض جسدية و عقلية، و إلى التفكك الأسري و عدم القدرة على العمل.

كما أن تغير الدخل المفاجئ نتيجة للفصل عن العمل يؤدي إلى ضغوط عديدة على الأسرة حيث تضطرب حياتها، و تؤدي إلى الفشل في جوانب عديدة فيها. و هناك عوامل أخرى ترتبط بالضغوط

و تشمل الجنس، السن، المستوى التعليمي، و قدرة الأفراد على المساندة، إذ أوضحت نتائج الدراسات والبحوث الخاصة بالاختلافات النوعية و علاقتها بالضغوط المساندة الاجتماعية أن النساء كن أكثر تعرضا لأحدث الحياة الضاغطة من الرجال، و ذلك بسبب اتجاههم إلى الجوانب العاطفية، و أن الأمر أكثر تدعيما في حالات الضغوط أكثر من الرجال، وأن السن بما يعكسه من خبرة بوجود آليات واضحة للتعامل أو الحد من الضغوط (27). و بما يعكسه من خبرة سابقة كعامل هام في تفسير الأحداث التي يتعرض لها، فكلما زاد تعرض الفرد والأسرة لمواقف، كلما كانوا أكثر قدرة على التعامل مع مثيلاتها مستقبلا، ولعل هذا من الأسباب التي تفسير ما يتميز به كبار السن و البالغون من قدرة على التعايش، و مقاومة الضغوط و تجارب الفشل، و كأن تجاربهم السابقة قد منحتهم "حصانة" و مقدرة أكبر لمواجهة الضغوط، و معالجة ردود فعلها بكفاءة و كثير من المنطق و التعقل.

ج- العلاقة الارتباطية بين الضغوط : إن فهم الضغوط و ترابطها في الأسرة يكون من خلال التعرف على الأحداث الداخلية و الخارجية التي تتعرض لها الأسرة.

فالأحداث الداخلية تتمثل في: فقدان العائل، أو الإصابة بمرض أو فقد أحد الأبناء أو فقدان العمل، و قلة الدخل و الشهرة، أو الثروة المفاجئة (28). كما تتضمن الأحداث الداخلية « كل تغير مفاجئ في مكانة الأسرة و قيام صراع بين أعضائها حول تصوراتهم لأدوارهم» (29). و يعتبر الانهيار الخلقي مثل الخيانة الزوجية و إدمان الخمور و الانحراف و كل الأحداث التي تجلب العار و الخزي، يتبعها نتائج مثل الانتحار، الطلاق و الهجر و الهروب و الإصابة بأمراض عقلية (30). إلى جانب هذه الأحداث، « فهي لا تتضمن فقط فقد الأشخاص أو العمل أو الدخل، بل هناك أيضا أشياء أخرى مثل قدوم طفل جديد أو قدوم الحماة للمعيشة مع الأسرة، فهذه تكون أمور معوقة مثل فقد أي منهم تماما» (31).

و الأحداث الداخلية و التي تعرف على أنها ضاغطة تكون ناشئة عن اضطرابات تنعكس على كفاءة الأسرة الداخلية، فالأمراض العقلية و العصبية التي تعطل ممارسة أحد الزوجين داخل الخلية الأسرية لأنها تدمر إمكانية و كفاءة و طاقة أحد الزوجين في استمرار رعاية الأسرة، و فقدان و فقدان البصر أو السمع أو الإصابة بمرض يعسر تكيف أفراد الأسرة للمواقف التي تواجهها، فتجعل من المصاب إنسانا مزاجيا متقلبا في مشاعره و آرائه حسب وضعه الصحي و النفسي (32).

و تؤثر العاهات الجسمية تأثرا سيئًا على العلاقات الزوجية إذ تؤدي إلى الانكماش في العلاقات داخل الأسرة أو قد تؤدي إلى احتياج الفرد إلى الاعتماد على الأسرة اعتمادا كبيرا، الأمر الذي يسبب له الضيق، كما تؤدي العاهة إلى عجز رب الأسرة عن إعالة الأسرة و يفقد القدرة على رقابة أبنائها و بالتالي يتعرضون للانحراف، مما يعرض الأسرة لأزمات أسرية (33).

كما أنه عندما يتعرض أحد أعضاء الأسرة للمرض تؤثر حالته في كل عضو يضم البيت، « إذ تضطرب الحياة اليومية للأسرة ، كما يفرض المرض أعباء و مسؤوليات إضافية على عاتق

الأعضاء و الأصحاب»(34)، و خاصة إذا كان المرض مزمنا يمثل ضغط كبيرا يجعل الأسرة تعاني من اضطرابات مادية ناشئة عن توقف أو نقص الدخل و زيادة النفقات.

كما أن مرض ربّ الأسرة يترتب عليه توقف الدخل أو انخفاضه، و تعاني بذالك الأسرة الحرمان، إضافة إلى مواجهة النفقات اليومية من النفقات الخاصة بالبيت و تكاليف العلاج و الأدوية، و قد تسوء حالة الأسرة إذا لم تكن لها مدخرات سابقة تساعدها في مواجهة هذه الظروف الطارئة. إلى جانب ذلك«يعاني العائل اضطرابات عاطفية لاعتقاده أنه فقد مقومات سيطرته على الأسرة و بالتالي فقد مكانته فيها»(35). و إذ كان مرض رب الأسرة يمثل عجزا طويلا، « تضطر الأم تحت ضغط الحاجة إلى الخروج للعمل لإعالة الأسرة و يتعذر عليها إيجاد عملا مناسبا بسبب السن أو الأمية أو نقص الخبرة المناسبة» (36). كما أن مرض الأم يطرح كثيرا من المشكلات تؤدي إلى اضطراب حياة الأسرة إذ ينتاب التوتر و الضيق أعضاء الأسرة خاصة الأب الذي يجد نفسه أمام مسؤوليات أو واجبات كثيرة و و غير مألوفة خاصة في وجود أطفال صغار، و تغمر حياة الأبناء الفوضى أو تقع هذه المسؤولية على إحدى البنات في الأسرة، و غالبا ما تكون الابنة الكبرى و التي تتعرض للفشل في إيجاد الهدف الذي رسمته لنفسها في حياتها و مستقبلها.

فالمرض الطويل للزوجة يؤثر في نظام البيت نتيجة لانهيار عنصر التدبير فيه، فالزوجة هي مصدر العطف، و هي التي تمد الأسرة بروح المساندة و التعاون و المحبة، و يقع علي عاتقها جميع المسؤوليات، و تظهر هذه الاضطرابات أو تتخذ منها مظاهر متعددة منها: مشكلات عاطفية نتيجة حرمان الأطفال من مصدر العطف و الحنان مما يدفعهم للبحث عن الإشباع العاطفي و الوجداني في خارج الأسرة بصورة منحرفة لا تتفق مع معايير و قيم الأنماط السوية في المجتمع، و اضطرابات مادية ناشئة عن نفقات العلاج من جهة، و سوء التدبير الذي يصيب الأسرة بعد مرض الزوجة من جهة أخرى، و الذي يمثل دورها إذ كان يقع على عاتقها مهام توجيه ميزانية الأسرة و موازنة الدخل مع النفقات بتحديد الحاجات المختلفة للأسرة و ترتيبها حسب درجة أهميتها و إمكانيات الدخل، إلى جانب ذلك تنتج اضطرابات المعاشرة الزوجية، إذ قد يدفع الزوج بعد أن يطول به الأمر إلى البحث عن حياة زوجية أخرى تيسر له المعاشرة الزوجية، فيلجأ إلى زواج جديد دون أن يعني بتأمين مستقبل الزوجة المريضة و مستقبل الأطفال (37). فمن الضروري أن ننظر إلى المرض، بالمضمون الاجتماعي بمعناه الشامل و ليس فقط بالنسبة للمريض، بل كحادث ضاغط و تأثيره في أعضاء الأسرة الذين يشتركون في حياته الشخصية.

كما أن العيش في أسرة ذات عائل واحد نتيجة الترمل أو الطلاق يؤدي إلى أن يقع على الأم و الأبناء واجبات حيث يكونون غير جاهزين و مستعدين لذلك في تحمل مسؤولية الأسرة، فهذه الالتزامات و الأعباء الجديدة التي تفرض عليهم يشعرون بالعجز و الوحدة و الضغط.

و تغير الأدوار في تلك الأسرة ذات العائل الواحد يمثل أكثر الضغوط التي تواجهها، حيث تتغير الأدوار بموت الأب وتصبح الأم فيها مصدرا للسلطة، و من ثم يقع على عاتقها مهام و أدوار كثيرة،

«و يصعب على بعض الأمهات القيام بهذه الأدوار و المهام، إذ يصعب عليها أن تكون صورة للحنان و الحب و الدفء، إلى جانب الحزم و القوة و القسوة و السلطة » (38). و تقابل الأسرة ذات العائل الواحد ضغوط اقتصادية نتيجة لانخفاض الدخل، و قد يؤدي ذلك إلى انخفاض مستوى معيشة الأسرة مما ينجم عنه تفاقم الضغوط في هذه الأسرة،« حيث أن إعادة تخصيص الأعمال و إعادة تعديل أدوار الأسرة و علاقتها الداخلية و الخارجية، و قد ينتج عن هذا التعديل التوتر و الصراع إذ حدثت معارضة لإعادة توزيع الأدوار التي تؤدي إلى تغيرات في المكانة» (39).

و قد يكون فقدان القدرة على الكسب مثلا من العوامل التي تخلق التوتر في العلاقات الأسرية أيضا في المكانة الاجتماعية التي تحتلها الأسرة، و كذلك المكانة الاجتماعية التي يحتلها المسؤول الأول في الأسرة على توفير الدخل، فغاليا ما يكون الدخل الذي يحصل عليه الزوج جزء من الصورة التي تحملها الزوجة عن زوجها، و انعدام القدرة على كسب نتيجة المرض أو البطالة يهز و يحجب هذه الصورة، إذ يؤدي التعطل إلى إخلال قوى الأسرة و افتقادها للاستقرار، و ينعكس سلبا على المكانة الاجتماعية التي يحتلها هذا المسؤول البطال في محيط أسرته، سواء كان أبا أو زوجا أو ابنا أو أخا، إلا أن الزوج أو الأب أكثر تضررا، لأنه المسؤول المباشر عن الأسرة عن توفير الدخل لأفرادها.

فأثر الوضعية الأسرية يمكن أن يمتد إلى أحداث مشاكل اجتماعية أخرى حيث أن مشاكل اجتماعية أخرى حيث أن « أزمة الشغل تؤدي إلى عدم استقرار الحياة الأسرية بين أفرادها، و الواقع فقدان الزوج لمنصب عمل يمكن أن تحدث انعكاسات على مستوى العلاقة بين الزوجين يمكن أن تصل إلى حد الطلاق» (40).

أما عن **الأحداث الخارجية**، فتتمثل في: الكوارث الطبيعية، الأزمات الاقتصادية، الحروب، المجاعة، أو فاجعة مثل الحروب أو حالة انتشار وباء مرضي. فهذه الأحداث تؤثر على درجة تكيف أفراد الأسرة، و تخلق للأسرة مشكلات نفسية و اجتماعية و اقتصادية، لأن الأسرة لا تستطيع التحكم بهذه الضغوط التي تحدث خارجها، أو لأنها تعمل على فقدان أحد أركانها أو تعيق تحقيق طموحاتها.

حيث أن البطالة الناتجة عن الكساد الاقتصادي تؤدي إلى تعرض الأسرة إلى الفقر وإرباك ميزانيتها المالية، و بالتالي لا تستطيع تحقيق العديد من احتياجاتها المالية، أو إذا اشتغلت الزوجة خارج المنزل و الأولاد كذلك، فإن ذلك يعنى انهماك كافة الأسرة في العمل من اجل العيش بالمستوى المطلوب لها، و هذا يخلق وهنا أسريا داخلها يفقدها نسجها العاطفي (41). فمدى إمكانية الأسرة في الحصول على احتياجاتها و إشباع رغبات أفرادها عاملا مهما في استقرارها، باعتبار الوهن« هو الضعف في القدرة الأدائية، أي أن بعضا من عناصر التنظيم المكونة له تتعطل وظائفها أو أن أحد هذه العناصر لا تكون قادرة على القيام بوظيفتها بكفاءة عالية أو كما هو مطلوب منها» (42).

إذ أظهرت الكثير من الدراسات أن الأزمات الاقتصادية العنيفة و بطالة الزوج تؤدي في كثير من الحالات إلى زيادة المشكلات الأسرية بما تمثله من تهديد للأمن و للاستقرار الذي في ظله تتأثر باقي

وظائف الأسرة، « فانخفاض مستوى دخل الفرد يساعد في نشأة الخلافات الزوجية أو قد يرفع برب الأسرة إلى الهروب من المنزل، و قد يرفع الأبناء للعمل في سن مبكرة و ارتفاع نسبة تسربهم من التعليم و ازدياد احتمالات تشردهم و انحرافهم» (43).

كما أنه مع خروج المرأة للعمل قد يمثل ذلك خطورة على الأطفال بتركهم دون رقابة و إشراف، و اشتغال الأطفال في سن مبكرة يمنعهم من التعليم، كما يدفع الأسرة الاعتماد على أطفالها قبل أن ينضجوا، و هذا يعرضهم للانحراف إضافة إلى ذلك نجد أن « البطالة تنتج عادة في تقليص أو خسارة الدخل، الأمر الذي يؤدي إلى تغذية أقل ملائمة، و التي تنتج استعداد متزايد للمرض. كما يمكن إضافة عناصر أخرى ... الانزعاج عن نقص الدخل و فقدان الثقة بالنفس الناتجة عن البطالة هذه و عوامل أخرى تقدم تربة خصبة لأزمات عائلية كبيرة » (44).

و انتشار الأمراض يقصر حياة الأفراد، كما أن تعرض الأفراد للموت المبكر يعرض الأسرة للتفكك بسبب الموت، و يعوق المرض الإنسان على مادية أعماله يقل إنتاجه، و يعرض الفقر « و هو الحالة التي لا يكفي فيها دخل الأسرة عن إشباع حاجياتها الأساسية المتغيرة للمحافظة على بنائها المادي و النفسي و الاجتماعي ، و تأثير الفقر لا ينفصل عن بقية العوامل النفسية و الاجتماعية، إذ هو يؤثر و يتأثر بمستويات الطموح لدى الأسرة و يؤثر في علاقة الفرد بالأسرة و البيئة، و قد يدفع الفقر إلى الانحراف و الإجرام» (45).

كما تؤدي الحروب إلى تماسك الأسرة و تضامن من أعضائها حتى يتمكنوا من التكيف معها، و قد تؤدي إلى انهيار الأسرة. و ترى " سناء الخولي" أنه هناك قاعدة أساسية في علم الاجتماع تؤكد أن أحداثا معينة خارج نطاق الجماعة تؤدي إلى تماسكها مثل نشوب حرب أو حدوث فيضان و لهذا، فإن الأحداث الخارجية الضاغطة تشكل أزمة بالنسبة للأسرة أو الجماعة، إلا أنها تؤدي إلى تضامن أعضائها حتى يتمكنوا من التغلب عليها، و بالمثل فإن هذه الأحداث الخارجية الضاغطة قد تؤدي إلى توحد الأسرة و جعلها أكثر تماسكا أكثر مما تؤدي إلى انهيار (46).

يتضح أن الضغوط الخارجية التي تتعرض لها الأسرة أو الجماعة لها جوانب إيجابية، إلا أن الأحداث الضاغطة السلبية التي تتعرض لها الأسرة تؤدي إلى حدوث خلل في وظائفها و فعاليتها، و انخفاض مستوي أدراك لوظائفها كما هو شأن بالنسبة لأدوار أفرادها، و تحدث آثار سلبية على الأسرة و تظهر هذه الآثار في حالة الاستسلام و العجز عن المقاومة و التكيف.

إلا أن الضغوط الناتجة من داخل الأسرة (الأحداث الداخلية) تمثل أكبر خطرا يهدد الأسرة عكس الضغوط الناتجة من خارجها (الأحداث الخارجية)، و هناك تفاعل مستمر بين العوامل أو الأحداث الداخلية و الخارجية يصعب عزلها، و عموما تتشكل الضغوط لدي الأسرة نتيجة لأسباب خارجية و داخلية. فمن الأسباب الخارجية: خلافات الزوجة مع أهل الزوج، خلافات الزوج مع أهل الزوجة مشكلات مع الجيران، الديون، كثرة الأولاد، حمل الزوج حملا غير مرغوب فيه، مرض أحد الزوجين

أو أحد الأطفال مرضا مزمنا، تعرض الزوج للعجز عن العمل أو السجن، فشل أحد الأبناء في المدرسة أو انحرافه، قدوم طفل معوق إقامة أحد الأقارب مع الزوجين دون رغبة الطرف الآخر، الانتقال من العمل أو الفصل مع الحاجة إليه، الإحالة على التقاعد (47).

أما الأسباب الداخلية: صراع الأدوار، تعرض أحد الزوجين للحرمان من إشباع حاجاته الأساسية، إنكار الزوج الآخر لحقوقه، وجود عوائق تمنع من تحقيق أهداف الزواج، زواج الخروج من زوجة ثانية، نشوز الزوجة، أو إعراض الزوج عن الزوجة أو تعاطيه الخمر (48)، فالضغوط الأسرية تتمثل في مطالب ضرورية في محيط الحياة الأسرية و عواطف مضطربة. إن الضغوط التي تتعرض لها الأسرة ذات أنواع و أشكال متعددة لاختلاف وتعدد مصادر هذه الضغوط، التي ترجع إلى مصادر مؤسساتية – مجتمعية أو تفاعلية – جماعية أو مصادر سيكولوجية – فردية، أي عوامل متعلقة بالمجتمع الذي توجد فيه الأسرة والبيئة التي تعيش فيها، وعوامل تتعلق بالفرد، فالضغوط أحداث ضاغطة على الأسرة منها ما هو داخل الأسرة أو من خارجها.

4.أنواع الظغوط الأسرية :

لا شك أن الأسرة هي أكثر الوسائط و المؤسسات الاجتماعية تأثرا بالأحداث التي يمر بها الفرد و المجتمع، فالأحداث الضاغطة السلبية التي تتعرض لها الأسرة تؤدي إلى حدوث خلل في وظائفها و فعاليتها و تحدث آثار سلبية على أعضاء الأسرة.ولقد اختلفت أنواع الضغوط التي تتعرض لها الأسرة.

و نستعرض من بينها مايلي كما يلي:

أ- الضغوط النفسية والانفعالية: إن الضغط النفسي له أبعاد اجتماعية و اقتصادية وسياسية ومهنية، باعتبارها المجال الذي يتحرك فيه الفرد وهي التي تنشأ الضغط، و أبعاد ذاتية سواء كانت جسمية – عقلية أو معرفية – نفسية، وهي بدورها تكون مصدرا للضغوط، كما أنها تنبأ بأن الفرد يقع تحت تأثير ضغط ما، و« تنشأ الضغوط من المتغيرات النفسية، عندما يكون هناك اختلالا في الميكانيزمات الدفاعية وقصور في إشباع الحاجات، وعندما تكون منظمات النفس في حالة صراع أو قلق أو شعور بالإحباط وعدم توافق و تكيف نفسي» (49).

ب- الضغوط الصحية: تتحدد هذه الضغوط في الاضطرابات و التوترات الناتجة عن إصابة أحد أفراد الأسرة بأمراض مزمنة أو وجود إعاقة لديه بما يفرض على الأسرة مواجهة متطلبات إمكانياتها عن الالتزام بها. إلى جانب ما قد يفرضه هذا المرض أو تلك الإعاقة من أعباء خلال تحديد المسؤوليات وتوزيع الأدوار في الأسرة.كما قد يفرض مرض أحد أفراد الأسرة ضرورة التعامل مع المؤسسات الطبية في المجتمع، و التي قد تجد الأسرة معها صعوبات تتعلق بالتزاماتها تجاه هذه المؤسسات.

ج- الضغوط الإيديولوجية و التعليمية: إن الإيديولوجية هي نسق من الأفكار والمعتقدات الموجودة في المجتمع ما ويتخذها أفراد المجتمع فلسفة رئيسية في توجيه قوى الحياة الاجتماعية، و يظهر دور هذا العامل في الأسرة في ارتفاع مستوى رعاية الأطفال والتنشئة وأسلوب الزواج ومتطلباته، وانتشار

الديموقراطية والتثقيف العام،فهناك علاقة بين المستوى الثقافي للأسرة و تفاعلها مع الظواهر الأخرى الموجودة في المجتمع الذي تعيش فيه مؤثرا فيها و متأثر بها.

فالتفاوت الثقافي في بين الزوجين قد يؤدي إلى خلل في الإشباع و السلوكيات نتيجة لاختلاف أفكار كل منهما حولها، و قد يظهر الخلل في نوعية التعاون بينهما، مما يخلق أدوار متصارعة في الأسرة، و تراكم هذه التوترات يضعف من العلاقات العاطفية بين الزوجين و يجعل الأسرة غير قادرة على مواجهة أي انحراف مهما كان بسيطا، و تكون النتيجة الطبيعية زيادة احتمالات ظهور الضغوط أو الأزمات

والغزو الثقافي المعاصر المصاحب للتغير الاجتماعي و التغير الأسري، بما أنتجه من اختلافات ثقافية للأسرة و أفرادها، إلى جانب الاختلافات الثقافية للنسق القيمي للأسرة كوحدة والمجتمع الخارجي الذي تعيش فيه تكون مصدر لظهورصرعات داخل الأسرة بين أفرادها من جهة، وبين المجتمع وإيديولوجيته من جهة أخرى، والتي تؤدي إلى ضغوط على الأسرة و أفرادها ، خاصة أن مصادر الثقافة والتنشئة كمؤثرات خارجية عن الأسرة عديدة منها الإعلام و تكنولوجيا المعلومات ووسائل الإيصال السريعة وغيرها، وما يترتب عليها من تغيرات في حياة الأفراد ويزيد من تعقد الحياة وظهور الكثير من الصعوبات والمشاكل وارتفاع معدلات الشعور بالضغط.

كما تشكل إيديولوجية المجتمع، بما يتطلبه من قوانين ومن أساليب تربوية وتعليمية وقرارات تنظيمية ضغوطا على الأسرة إذا كانت هذه الإيديولوجية لا تتفق وإمكانيات واحتياجات الأسرة، وتتصارع مع متطلباتها

د- الضغوط الاقتصادية: يعتبر العامل الاقتصادي من أهم العوامل في حياة الأفراد وحياة الأسرة، حيث أن انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة الذي لا يمكنها من الحصول على الموارد الاقتصادية الكافية لإشباع حاجاتها الضرورية وتحقيق أهدافها،يمكن أن ينعكس آثاره على كثير من الجوانب المعيشية الأخرى كالتعليم، الصحة ... الخ، كما يؤثر على نمط سلوكها الاستهلاكي والاجتماعي، ويمكن أن يمتد هذا التأثير إلى مستويات عمليات التفاعل الاجتماعي بين أفرادها،كما يجعل الأسرة عاجزة عن أداء وظائفها وقد يعرضها إلى التفكك.

يعتبر " فريد يريك لوبلاي " من أبرز علماء الإجتماع الذين اهتموا بمواضيع الأسرة و خصوصا بالجانب الاقتصادي منها، و يبدو هذا من منهجه في الدراسة الذي جعل مستوى المعيشة المقياس الموضوعي الذي عن طريقه يمكن بناء الأسرة ووظائفها، ذلك أن المستوى المعيشي الذي تعيشه الأسرة هو في الواقع ترجمة لمستوى اقتصادي معين، يوحي بنوعية أو طبيعة الحاجات المادية الموفرة من طرف الأسرة، والتي توحي في حد ذاتها بمحدودية أو اتساع فرص الإشباع المادي أمام الأفراد، وفقا للمعطيات الاقتصادية التي تحملها كل بيئة أسرية والتي تعبر إما عن راحة مادية أو ضغوط اقتصادية تعيشها الأسرة.

و الضغوط الاقتصادية للأسرة تنتج عن عوامل تنشأ عن الأسرة ذاتها وعوامل مرتبطة بمطالب الحياة العصرية والتقدم الحضري، هذه العوامل الأخيرة والتي أصبحت في ظل التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية الحالية من أهم مصادر الضغوط التي تواجهها الأسرة، أمام مسؤوليتها في تلبية وإشباع حاجاتها كما أصبح اعتماد استقرار الأسرة على الظروف الاقتصادية من الأمور شديدة التعقيد،إذ يعتبر العامل الاقتصادي من أكثر وأهم العوامل تأثيرا في الأسرة، فطبيعة العمل، مصدر الدخل، و إمكانية الحصول على السلع و الاحتياجات الأساسية ، و أي تغير في الاقتصاد، أو الدخل الفردي يؤثر على الأسرة و أنماطها.

لقد أصبحت الأسرة تواجه ضغوطات اقتصادية تعيقها عن التكيف بسبب عدم توفر فرص العمل أو البطالة، أو عدم القدرة على الكسب بسبب المرض أو توقف دخل عائل الأسرة أو انخفاضه، إلى جانب الدخل الذي لا يفي بالاحتياجات الأساسية، والتغيرات الاقتصادية و المتمثلة في التقلبات بين مستوى معين في الأسعار إلى مستوى آخر تتضمن اضطرابات،لها نتائج خطيرة على المركز الاقتصادي للأسرة.

هـ . الضغوط الاجتماعية: إن الأسرة مثل أي نسق اجتماعي يتأثر بالسياق العام الذي يحيط بها ،كما تتأثر بالتحولات و التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، وكذلك الأزمات التي يمر بها، فإذا كان المجتمع مستقرا اقتصاديا و سياسيا واجتماعيا كانت التغيرات التي تحدث في الأسرة تحقق التوافق العاطفي والنفسي و الاجتماعي بين أفراد الأسرة بصورة تنعكس على المجتمع ،أما إذا كان المجتمع يعاني من مشكلات و أزمات اقتصادية وسياسية و اجتماعية تحرم الإنسان من تحقيق احتياجاته، فإن الأسرة كذلك تفقد القدرة على تلبية احتياجات أفرادها .

و لقد تعرضت المجتمعات المعاصرة لتغيرات بنيوية و ظروف تحول عديدة شملت مختلف جوانب الحياة فيها، وقد حدثت هذه التغيرات بصورة متسارعة خاصة مع عمليات التأثير الخارجي التي استخدمت وسائل الاتصال وغيرها، و قد أثرت هذه التغيرات على كافة النظم الاجتماعية المختلفة والجماعات الاجتماعية المتباينة والأنساق القيمية وكانت الأسرة أعظم الجماعات وأول النظم التي نالتها هذه التأثيرات،نتيجة للعوامل المختلفة التي أحدثت هذه التغيرات، خاصة الخارجية منها ذات البعد الاقتصادي و لتكنولوجي و القيمي، إضافة إلى عوامل بنائية وظيفية داخلية أخرى.

في حين فرضت هذه التغيرات على الأسرة التكيف السريع مع ما تحمله معها من متطلبات، وما تقتضيه من احتياجات أفرادها، مما يستلزم تغيير توجهات وأنشطة الأسرة لتحقيق هذا التكيف. فقد ترتب على هذه التأثيرات تغيرا في خصائص البناء الأسري وتوزيع الأدوار والوظائف والعلاقات الأسرية ،إذ تعيش الأسرة وسط مجتمع متغير،والمجتمع المتغير المحيط بها لا بد أن يؤثر فيها تأثيرا واضحا من شأنه أن يغير تركيبها الاجتماعي ووظائفها وعلاقتها الداخلية والخارجية ونظم زواجها واستقرارها، وإيديولوجيتها و أساليب حياتها و طرق تفكيرها و مركز أفرادها .

لقد أصبحت الأدوار والوظائف غير واضحة ، و ما زالت هناك معايير مزدوجة عن حركة التغير المستمر للمجتمع وعدم قدرة الأسرة على مواكبتها ،إلى جانب التغير في القيم و المواقف الاجتماعية والمراكز الاجتماعية لأعضاء الأسرة و علاقة الرجل بالمرأة و الأبناء، و ظهور الاتجاهات المستقلة، إلى جانب شيوع نمط الاستهلاك وتغلب النزعة الفردية نتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية بما تسببه من شعور بعدم الأمان المادي. ومع تواصل عملية التحديث تفوز أنماطا جديدة من السلوك والقيم الجديدة في المجتمع،ينشأ عنه تناقض وصراع بين الأدوار التقليدية و المستجدة باعتبار القيم التقليدية تظل تشكل مرجعا ليس من السهل التخلص منه، فضلا على مواجهة التغيرات والتكيف معها يتطلب استعدادات تتماشي مع ما تتميز به هذه التغيرات من سرعة ، وهذا ما يلقي على الأسرة مسؤولية كبرى والتي تمثل اليوم تحديات كبرى تواجه الأسرة المعاصرة. « فطرح موضوع التغير الاجتماعي يعود إلى أهمية و مركزية التحولات المتعددة التي تعرفها المجتمعات في البلدان في طريق النمو، والسرعة الفائقة لهذه التحولات على كل المستويات، على مستوى الأسرة إلى الدولة، مرورا بالمسؤوليات و السلوكيات الجماعية و الفردية» (50).

إن السرعة التي تتم بها هذه التحولات لم تتح للمجتمع و للأسرة مجالا كافيا للتحكم و الضبط بما تتركه من تأثيرات، وللتكيف معا والتخفيف من تداعياتها السلبية، فالسرعة التي تتم بها التغيرات في البناء الاجتماعي يجعل من الصعب على الأسرة أن تتغير معه بشكل متوازن، ولذا من المتوقع أن تواجه الحياة الأسرية بعض التوترات والاضطرابات، « ففي المجتمعات التي تتغير بسرعة تتعرض كل جوانب الحياة الأسرية إلى اضطرابات عنيفة» (51).

فبعد أن كانت الأسرة تتصل اتصالا عضويا وثيقا متفاعلا بمحيطها الاجتماعي من خلال نسق القيم المتسم بالتوافق الإنساني والانسجام الأخلاقي المتوارث من خلال علاقة سوية و روابط متجانسة تتكامل في إطار الغايات والأدوار، جاء التغير الاجتماعي يرافقه تأثيرات عميقة بما يبرز ضمنه من متغيرات و مؤثرات ذات ميزة التعارض و التضاد بين الأسرة و محيطها الاجتماعي، و يضيفها أعباء جديدة وأعباء إضافية ليست مهيأ لها.

إن هذه التغيرات الاجتماعية المعاصرة التي تمر بها الأسرة لها ضغوط إلى جانب هذه التحولات و التغيرات التي طرأت عليها بنائيا و وظيفيا تشكل بالنسبة لها مصدرا للضغوط الاجتماعية لديها باعتبار « الأسرة بيئة اجتماعية تتأثر ايجابيا و سلبيا بدرجة التكيف و التوافق مع المتغيرات التي تحدث في بنائها، و مدى القدرة على الملائمة بين الأهداف المستقبلية و الظروف المرحلية» (52)، و من الصعب ملاحقة كل عناصر التغير الاجتماعي و تأثيراته خاصة على الأزمات الأسرية التي أصبحت متعددة.

و. ضغوط الوضعية السكنية: يشغل موضوع السكن مساحة كبيرة من هموم المجتمع في الوقت الحالي ذلك أنها تتعلق بجانب حيوي ترتكز عليه حياة الإنسان والأسرة، كما أنها يمس فئات عريضة من

المجتمع، وعادة ما يتم التطرف إليه كمشكلة اقتصادية مع إغفال البعد الاجتماعي والنفسي والآثار المترتبة على كل منها.

فالمسكن عامل مؤثر في صحة الفرد النفسية والجسدية والاجتماعية، كما أن المسكن يعتبر المجال الحيوي الأول للتفاعل الاجتماعي وما للأهمية الحيوية للأبعاد المتسعة لهذا التفاعل، فهو ينتج نتيجة للاحتكاك و نتيجة للاتصال القوي، يقوي الرابطة الأسرية قوتها بزيادة الإيجابية بين الأفراد و تضعف بزيادة السلبية و التوتر.

وفي وقتنا الحالي أصبح المسكن و مجاله الداخلي من الضغوط التي تتعرض لها الأسرة، يظهر ذلك من خلال النظر إلى المسكن من جانب حاجات أفراد الأسرة ومدى إشباعه لها، فالكثير من الأسر تعيش في ظروف سكنية غير ملائمة

7- دورة حياة الأسرة: كما تكون دورة حياة الأسرة مصدرا من مصادر الضغوط داخل الأسرة، فخلال الحياة يضطر كل عضو من أعضاء الأسرة إلى تغيير دوره أو مسؤولياته و أعماله، والانتقال من مرحلة لأخرى هي أكثر المواضع عرضه للضغوط و الأزمات، فميلاد طفلا، ذهاب أصغر طفل للمدرسة أو بدئه عملا ما، ترك المنزل، الاعتزال عن العمل، موت الزوج كلها أمور تسبب توتر في الأدوار وتعد مواضع ضغوط وأزمات.

يشير مصطلح دورة الحياة إلى تتابع الأحداث التي تمر بأسرة معينة منذ قيام الزواج حتى وفاة الزوجين، و ما يحدث خلال هذه الفترة من ميلاد أو زواج للأبناء، و كذلك العمليات و المناسبات المختلفة التي تواجهها وتربية الأطفال و تنشئتهم و هذا إلى جانب الظروف العديدة التي تصاحب الشيخوخة (53).

و تعرف النظريات التنموية الواجبات النامية للأسرة بأنها تعاظم أو نمو المسؤولية التي تظهر و يجب أن تواجهها الأسرة في مرحلة محدودة، إذ يرى الاتجاه التطوري أو التنموي أن لكل مرحلة تطورية ظروف و شروط تلزم الأسرة القيام بمهام معينة لكن تواجه شروط و ظروف مرحلة تطورية جديدة أو لكي تتقبل التغير الآتية، و غالبا ما تمثل ظروف و شروط الأسرة أهدافها و غاياتها لأنها غير مستقلة بذاتها عن باقي الأنساق الاجتماعية، بالوقت ذاته غير معتمدة عليها بشكل تام، بل تتفاعل معها حسب ظروفها و شروطها ففترات معينة من دورة حياة الأسرة تكون أكثر تعرضا للضغوط من فترات أخرى بسبب تركيبها البنيوية و بسبب المراكز التي يشغلها الأفراد داخل الأسرة.

ز- **تعدد وصراع الأدوار:** لقد ازدادت الصعوبات التي تواجه الأسرة خاصة بالنسبة للأدوار الخاصة بالزوج والزوجة نتيجة للتغيرات التي طرأت على حياة الأسرة الحديثة، وتظهر هذه الصعوبات في التعارض والصراع بين الأدوار الأسرية والأدوار الخارجية، بما تفرضه هذه الأدوار من مطالب و مسؤوليات للقيام بها، إذ يظهر نوع من التضارب بين دور الفرد كزوج أو أب و الأدوار التي تقرها المهنة التي يقوم بها، أو بين دور الزوجة أو الأم فالأدوار خارج البيت، سواء تعلق الأمر بالمهنة أو أدوار

أخرى تقوم بها خارج البيت، و تشكل هذه المطالب صراعا حيث تكون أنماط السلوك المطلوبة للأدوار المختلفة متناقضة.

إن كثيرا من أفراد المجتمع ضمن نمط الحياة في المجتمع الحديث غير قادرين على العيش وفق متطلبات أدوارهم، فقد تغيرت مواقف الحياة بشكل يجعل كثيرا من أنماط السلوك غير ملائمة. فأداء أدوار متعددة و مختلفة بما تتطلبه الحياة المعاصرة يطرح صعوبات كثيرة تعوق القيام بدور معين، والتي تفوق قدرات الفرد، مما يشعره بالعجز عن تحقيق هذه المطالب بصفة كلية أو جزئية، أو تجعل قيامه بها بصفة الإكراه.

فصراع الدور يظهر عند إدراك الفرد لنفسه أنه يقوم بدورين يتطلب كل منهما موقفا لا يناسب الآخرو تصبح هذه الأدوار متعارضة، فينشأ عن ذلك اختلال في التوازن النفسي، يرافقه قلق و اضطراب ويحصل الصراع عند الفرد.

خاتمة :

في الأخير يتبين أن موضوع الضغوط الأسرية له من الأهمية خاصة بالنسبة للأسرة الحديثة التي تواجه اليوم تحديات نظرا للتحولات المتعددة التي يعرفها المجتمع والسرعة التي تتم بها هذه التحولات بما تتركه من تأثيرات،والتي تطرح مشكلة التكيف في ظل الظروف البيئية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالأسرة إلى جانب التغيرات التي طرأت عليها بنائيا ووظيفيا والتي تشكل بالنسبة لها مصادرا للضغوط، وبالتالي ضرورة الاهتمام بدراسة الأسرة لتحديد تلك الظروف والمتغيرات الحالية وطبيعتها وقياس أثرها علي واقع الحياة الأسرية وأيضا ضرورة الأخذ بالمفهوم الشامل للضغوط التي يؤكد عليها التغير الاجتماعي و زيادة الخصائص الحضارية والتقدم التكنولوجي والصناعي والتأثيرات الناتجة عنها والتفاعلات السائدة التي أفرزت هذه الضغوط ،بما يصاحب ذلك من تأثيرات على نظم المجتمع ووحداته وأفراده بما في ذلك الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية كإعاقة أدائها الاجتماعي وإعاقة وتعقيد التفاعلات بداخلها.

*** قائمة المراجع:**

1- *روي رود جرز، التفاعل و التعامل العائلي، طريقة فهم التطورية، ترجمة يونس جرجوس، ندرة اليازجي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1987، ص ص. 371-372.*

2- *نفس المرجع، ص ..375.*

3- *نفس المرجع ، ص .377.*

4- *نفس المرجع، ص. .378.*

5- *نفس المرجع، ص ..390.*

6- إجلال إسماعيل حلمي، محاضرات في علم الاجتماع الأسري، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 1999، ص. 202.
7- نفس المرجع، ص ص. 201 – 203.
8- نفس المرجع ، ص ..204
9- السيد عبد العاطي وآخرون، الأسرة والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ،2006،ص..335
10- إجلال إسماعيل حلمي، مرجع سابق، ص ..208
11- طه عبد العظيم حسين، سلامة عبد العظيم حسن، استراتيجيات إدارة الضغوط التربوية و النفسية، ، دار الفكر، عمان ط2006،1 ، ص. 78.
12- فوزي محمد الهادي، الضغوط الأسرية من منظور الخدمة الاجتماعية، القاهرة، دار القاهرة، 2005، ص. 28.
13- نفس المرجع، ص ص. 27-28.
14- نفس المرجع سابق، ص. 26.
15-جمال مجدي حسنين، سوسيولوجيا المجتمع، ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،2005، ص ص. 174-175.
16- منذر إبراهيم كتاني، الأسرة والحياة العائلية، دارا لمطبوعات والنشر، الأردن، ط1، 2005، ص. 153.
17- السيد عبد العاطي و آخرون، مرجع سابق، ص ..367
18- نفس المرجع، ص ..337
19- نفس المرجع، ص ..337
20- فوزي محمد الهادي، مرجع سابق، ص. 38.
21- نفس المرجع ، ص. 41.
22- محمد عاطف غيث، قاموس على الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص.6.
23- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص. 256.
24- محمد بومخلوف و آخرون،واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري –القطيعة المستحيلة-سلسلة احذر من الخطر قبل فوات الأوان 4، مخبر الوقاية والأرغنوميا،جامعة الجزائر، ط1،الجزائر ، دار الملكة،2008 ، ص. 15.
25- نفس المرجع، ص. 15.
26- فوزي محمد الهادي،مرجع سابق، ص ص. 36-37.
27- نفس المرجع ، ص ص. 42-43.
28- أحمد يرجي عبد الحميد، الأسرة و البيئة، المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية، 1998، ص ص. 65-66.
29- سناء الخولي، مرجع سابق، ص ..253
30. فوزي محمد الهادي، نفس المرجع، ص. 40.
31- سناء الخولي، مرجع سابق ، ص .253.
32. معن خليل عمر،علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق، الأردن، ط1، 2005،ص ص 144-145.
33- إقبال محمد بشير و آخرون، ديناميكية العلاقات الأسرية، دراسة عن الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة و الطفولة، ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، دون سنة، ص ص. 102-103.
34- محمود حسن، الأسرة و مشكلاتها، دار النهضة العربية، بيروت، دون سنة، ص. 80.

35- محمود سميح الإمام، ميادين الخدمة الاجتماعية، ميدان المنحرفين، الجزء الأول، مكتب الإمام، دمشق، 1984، ص ص. 24-25.
36- محمود حسن، مرجع سابق، ص ص. 80-81.
37. محمد سميح الإمام، مرجع سابق، ص ص. 24-26.
38- طه عبد العظيم حسين، سلامة عبد العظيم حسن، مرجع سابق، ص ..186
39- السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق، ص .336.
40- Bernadette, Bawin, Le gros et autres, Sociologie de la cité, P.U.F Paris, 1996, P .147.
41- معن خليل عمر، مرجع سابق ص ص .144-145.
42- نفس المرجع، ص. .118
43- عصام توفيق قمر وآخرون،الرعاية الاجتماعية للأسرة والطفولة، المكتبة المصرية، مصر، ط1، 2009، ص. .98
44- روي رودجيرز، مرجع سابق، ص. .390
45- محمود حسن، مرجع سابق، ص ص. 56-57.
46- سناء الخولي، مرجع سابق، ص .252
47- كمال إبراهيم موسى، العلاقة الزوجية و الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، دار العلم، الكويت، 1998، ص..202
48- الرشيدي (هارون توفيق)، الضغوط النفسية، طبيعة نظرياتها، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 200، ص ص 6-7 .
49- المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، « دعم دور الأسرة في المجتمع متغير»، عدد خاص بمناسبة اختتام فعاليات السنة الدولية للأسرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية و العمالية (28)، 1994، ص.239.
50- Boutefnouchet (Mostafa), Société et Modernité, Les principes du changement social, Office des publications Universitaire, Alger, 2004, P. 9.
51- سناء الخولي، مرجع سابق، ص. 117 .
52 . فوزي محمد الهادي، مرجع سابق، ص..53
53- محمد يسري إبراهيم دعبس، التربية و تنمية المجتمع، رؤية في أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة، سلسلة الأسرة التربوية (3)، الإسكندرية، 1997، ص. 72 .